قسم الأبحاث | 2018-08-01

المجتمعات المسلمة في أوروبا:

التّاريخ والإطار القانونيّ والمنظّمات

توماس شميدينغر

ترجمة: محمّد الدخاخني

جميع الحقوق محفوظة © 2018

www.hafryat.com

مقدّمة

يقدّم هذا الفصل لمحة عامّة عن الجاليات المسلمة في أوروبا, وخلفيّتها العرقيّة والدّينيّة, ووضعها الاجتماعيّ والاقتصاديّ والقانونيّ, ومنظّماتها. وبالتّأكيد, يستحقّ مثل هذا الموضوع الضّخم ما هو أكثر بكثير من مجرّد لمحة عامّة قصيرة. ومع ذلك, في الوقت الّذي أصبح فيه الإسلام والمهاجرون المسلمون موضوعًا رئيسًا في الخطاب المتعلّق بالهجرة والاندماج, فإنّه من المهمّ تقديم نظرة عامّة حول هذا الجزء من السّكان الأوروبيّين وانتماءاتهم الدّينيّة.

الإسلام باعتباره جزءاً من التّاريخ الأوروبيّ

غالباً ما يقوم الخطاب المتعلّق بالإسلام في أوروبا بتصوير الأخيرة على أنّها غرب مسيحيّ أو مسيحيّ-يهوديّ, بينما يُنظَر إلى الإسلام على أنّه دين شرقيّ أجنبيّ. على أنّ هذه السّرديّة لا تنفي فقط حقيقة أنّ كافّة الدّيانات التّوحيديّة الثّلاث الكبرى قد تشكّلت فعليًّا في الشّرق الأوسط, ولكنّها تستبعد أيضًا التّأثيرات التّاريخيّة للعلماء والباحثين المسلمين على التّطوّر الثّقافيّ لأوروبا والتّاريخ الطّويل للإسلام باعتباره جزءًا من التّاريخ الأوروبيّ.

كان أوّل لقاء لأوروبا مع الإسلام سابقًا بفترات طويلة لأجزاء كثيرة ممّا يسمّى اليوم «العالم الإسلاميّ». وذلك عندما عبر النّبيل البربريّ طارق بن زياد مضيق جبل طارق مع قواته عام 711, غازيًا إمبراطوريّة القوط الغربيّين ومؤسّسًا على إثر ذلك الأندلس الإسلاميّة, بعد أقل من 80 عامًا مرّت على وفاة النّبي محمّد, عليه السلام.

وكما نعرف, فقد استمرّ الوجود الإسلاميّ في إسبانيا لأكثر من 780 عامًا. وكانت صقليّة وأجزاء من جنوب إيطاليا تحت الحكم الإسلاميّ أيضًا من القرن التّاسع إلى القرن الحادي عشر. ومع ذلك, فقد جرى محو هذه اللّقاءات الأوروبيّة المبكّرة مع الإسلام من الوعي الأوروبيّ, وجرى القضاء على السّكان المسلمين في إسبانيا

وإيطاليا عن طريق التّحوّلات الدّينيّة والتّرحيل القسريّين بُعيد الإخضاع المسيحيّ لجنوب إيطاليا وصقلية في القرن الحادي عشر والأندلس في القرن الخامس عشر.

غير أنّ هذا يختلف عن تطوّر الأقليّات المسلمة في شرق وجنوب شرق أوروبا، حيث قَدِمَ الإسلام مع الشّعوب النّاطقة باللّغة التّركية مثل التّتار في روسيا والقبائل التّركيّة المختلفة في الإمبراطوريّة العثمانيّة. وبعد غزو خانيّة قازان وخانيّة أستراخان في القرن السّادس عشر، وإلغاء خانيّة قاسم في القرن السّابع عشر وغزو شبه جزيرة القرم في القرن الثّامن عشر، استمرّ الإسلام باعتباره ثاني أكبر دين في روسيا؛ حيث تسامحت معه الإمبراطوريّة الروسيّة على نطاق واسع. ومع غزو شمال القوقاز في القرن التّاسع عشر، أصبحت شعوب إسلاميّة أخرى، مثل؛ الشّيشان والشّركس والدارجين والآفار، تحت السّيطرة الرّوسيّة.

وفي جنوب شرق أوروبا، تحوّل غالبيّة البوسنيّين والألبان إلى الإسلام في ظلّ الحكم العثمانيّ. وبالإضافة إلى ذلك، أصبحت مجموعات أخرى تتحدّث السّلافيّة، مثل البوماك وبعض المجريّين، في عداد المسلمين. وبالمثل، استقرّ مسلمون من الأناضول أو القوقاز في بضع مدن في الأجزاء الأوروبيّة من الإمبراطوريّة العثمانيّة. وفي حين انسحب العديد من هؤلاء المسلمين الأوربيّين الجنوب شرقيّين مع الحكم العثمانيّ في الأعوام الأولى من التّوسّع النّمساويّ نحو الجنوب الشّرقيّ، فإنّ معظمهم قد بقي عندما قامت النّمسا باحتلال البوسنة والهرسك في 1878 وضمّتهما في 1908.

السكان المسلمون الأصليّون في شرق وجنوب شرق أوروبا

نتيجةً لهذا التّطوّر التّاريخيّ، هناك اليوم عدد من السّكان المسلمين الأصليّين في أوروبا. ويعيش جميعهم في أراضي الإمبراطوريّات العثمانيّة أو الرّوسيّة السّابقة. ويشكّل هؤلاء السّكان الأصليّون المسلمون بالفعل مجموعة متنوّعة من المسلمين الأوروبيّين. فهم لا يتكلّمون لغات مختلفة فحسب، بل يتّبعون أيضًا تقاليدَ

دينيّة مختلفة. ففيما غالبيّتهم من المسلمين السّنّة, هناك أيضًا أقليّة كبيرة من المسلمين العلويّين والبكتاشيّين في مجال السّلطة العثمانيّ السّابق.

وتحظى هذه الجماعات غير الأرثوذكسيّة بأتباع كثر, لا سيّما في ألبانيا وبلغاريا. بل إنّ ألبانيا قد أصبحت موقعًا للمقرّ الرّئيس للطّريقة البكتاشيّة بعد أن جرى حظر وجودها في تركيا في عهد مصطفى كمال عام 1925. ويزعم بعض البكتاشيّين أنّهم يشكّلون ما يقرب من نصف السّكان المسلمين في ألبانيا. وبالرّغم من أنّ هذا الرّقم يبدو مبالغًا فيه, إلا أنّه من غير الجداليّ أنّ ألبانيا أصبحت تحتلّ المركز الثّاني للبكتاشيّة وأنّ البكتاشيّة قد جرى الاعتراف بها باعتبارها مجتمعًا دينيًّا محدّدًا من جانب الدّولة. وفيما جرى اضطّهادهم في ظلّ حكم أنور خوجة, شأنهم في ذلك شأن كافّة المجتمعات الدّينيّة, فإنّ انبعاثة قد حصلت لهم بعد سقوط النّظام في 1990؛ حيث أعادوا فتح تكيّتهم التّاريخيّة في تيرانا وأقاموا تكيّات جديدة في أجزاء مختلفة من ألبانيا[1]. وفي كوسوفو ومقدونيا, حيث كان وجود البكتاشيّة أقل أهميّة مقارنة بالوضع في جنوب ألبانيا, كان لها وجود دائم بين السّكان الألبان.

وحتّى بين المسلمين السّنّة, ثمّة مجموعة متنوّعة من أشكال التّعبير الدّينيّ, تتراوح بين أشكال أكثر ‹أرثوذكسيّة› وأشكال أكثر علمانيّة من الإسلام, بما في ذلك تأثيرات توفيقيّة, خاصّة داخل مجتمعات المسلمين الرّوم, جنوب شرق أوروبا. باختصار, علينا أن نلاحظ أنّ الإسلام لم يكن له وجود دائم في أوروبا منذ القرن الثّامن فحسب, بل أيضًا السّكان الأصليّين المسلمين الأوروبيّين الموجودين الآن, بما يتضمّن ما بين 9 و12 مليون شخص في جنوب شرق أوروبا وروسيا.

1- John Norton, "The Bektashis in the Balkans," in Celia Hawkesworth / Muriel Heppell / Harry Norris (eds.) Religious Quest and National Identity in the Balkans (Basingstoke (Hampshire): Palgrave Macmillan, 2001) pp. 168-200, p. 194.

الهجرة والإسلام

شأنها شأن وجود الإسلام, فإنّ الهجرة لا تمثّل أيضًا ظاهرة جديدة. ومع ذلك, لا بُدّ من الإشارة إلى أنّ أعدادًا صغيرة من المسلمين كانت تعيش أيضًا وبشكل فعليّ في بلدان أوروبا الغربيّة في القرن التّاسع عشر. إنّ الاستعمار لم يسفر فقط عن استعمار الأقاليم الموجودة فيما وراء البحار, ولكن أيضًا عن اتّصال بين المستعمِرين والمستعمَرين. فقد وجد بعض المستعمَرين طرقهم إلى بريطانيا أو فرنسا أو إيطاليا, في حين حكمت النّمسا فجأةً تعدادًا سكّانيًّا معظمه من المسلمين في البوسنة.

على أنّه لم يتم جلب الإسلام إلى المجتمعات الأوروبيّة الغربيّة فقط عن طريق الهجرة. ففي أوائل القرن العشرين, أصبحت أوروبا مهتمّة بشكل متزايد بالشّرق. وفي كافّة أنحاء أوروبا, أقيمت أبنية على الطّراز الشّرقي, مثل بناء «يندزي» المعروف عالميًّا في دريسدن[2]. وبالرّغم من حقيقة أنّ هذا كان في الأساس فضولًا شرقيًّا له طابع رومانسيّ للغاية, فقد أصبح بعض المثقّفين مهتمّين بالدّين الإسلاميّ. بل إنّ بعضهم, مثل اليهوديّ النّمساويّ ليوبولد فايس (محمّد أسد) من ليمبرغ أو عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة النّمساويّ (عمر) رولف ليوبولد فون إهرنفيلس, قد اعتنق الإسلام ولعب دورًا مهمًّا في تأسيس منظّمات إسلاميّة في أوروبا الغربيّة.

ومن خلال التّحوّل الدّيني والهجرة لم يُعِد الإسلام السّنّيّ فقط ترسيخ جذوره في أوروبا, بل أُدخِلَ الإسلام الشّيعيّ وطوائف إسلاميّة أصغر, مثل الأحمديّة, إلى أوروبا. فقد أصبح دعاة الطّائفة الأحمديّة, وهي طائفة تنحدر من الهند البريطانيّة, نشطين بشكل خاصّ في أوروبا. وأسّسوا أوّل مسجد دائم لهم في ألمانيا. وبين عامي 1924 و1928, أقامت حركة نشر الإسلام الأحمديّة اللّاهوريّة Ahmadiyya Anjuman Ischat-i-Islam Lahore مسجدًا على الطّراز المغوليّ الهنديّ في لهلمسدورف في برلين. وقد جرى تفسير صمود المسجد خلال الحرب العالميّة الثّانيّة من جانب المسلمين الأحمديّين على أنّه

2- Reinhold Zemke, Die Moschee als Aufgabe der Stadtplanung (Berlin: LIT Verlag, 2008), p. 18.

علامة واضحة على يد اللّه, سبحانه وتعالى, الّتي تعمل خلف المشهد. كما يظهر ذلك النّقاء والصّدق في الهدف اللّذين تعمل وفقًا لهما حفنة من أعضاء الحركة الأحمديّة اللّاهوريّة من أجل القضيّة النّبيلة والسّاميّة المتمثّلة في نشر الإسلام في أوروبا[3].

ومع ذلك, كان عدد المسلمين في أوروبا الغربيّة ما يزال محدودًا للغاية خلال النّصف الأول من القرن العشرين. فقد هاجرت غالبيّة السّكان المسلمين في أوروبا من غير السّكان الأصليّين المسلمين فقط بعد الحرب العالميّة الثّانيّة. إنّ هجرة مسلمي المستعمرات (السّابقة) لفرنسا أو بريطانيا أو البرتغال أو هجرة العمّال من تركيا وغيرها من الدّول ذات الأغلبيّة المسلمة إلى دول مثل ألمانيا والنّمسا قد غيّرت خريطة الإسلام في أوروبا.

فبينما كان الإسلام دينًا لأقليّة متلاشية في أوروبا الغربيّة في بداية القرن العشرين, أصبح ثاني أقوى دين في معظم بلدان أوروبا الغربيّة مع حلول نهاية القرن. واليوم, لا تعيش غالبية المسلمين الأوروبيّين في شرق وجنوب شرق أوروبا, ولكن في بلدان مثل فرنسا وألمانيا وبلجيكا والنّمسا وبريطانيا العظمى. وفي الوقت نفسه, فإنّ العديد من هؤلاء المسلمين هم من مواطني هذه الدّول الأوروبيّة وقد ولدت غالبيّتهم في أوروبا.

لا وجود لأعداد دقيقة قابلة للمقارنة للمسلمين في مختلف بلدان أوروبا. ومع ذلك, يقدّر المكتب الاتّحاديّ للهجرة واللّاجئين, وهو قسم من الحكومة الألمانيّة يُعنى بالمهاجرين واللّاجئين, أنّ هناك حوالي 15 مليون مسلم يعيشون في أوروبا, ضمنهم ما بين 11 و12 مليون في أوروبا الغربيّة[4]. وفي رأيي, فإنّ الإحصاء الّذي يتحدّث عن وجود 15 مليون مسلم في أوروبا ضئيل جدًّا إلى حدٍّ بعيد. وربّما لا يشتمل تقدير المكتب الاتّحاديّ للهجرة واللّاجئين على ملايين المسلمين في الجزء الأوروبيّ من روسيا.

3- http://berlin.ahmadiyya.org/ber50.htm, accessed on April 25, 2011.

4- http://www.integration-in deutschland.de/nn_284656/SubSites/Integration/DE/ 03_Akteure/ ThemenUndPerspektiven/Islam/Europa/europa-node.html?_ nnn=true, accessed on April 26, 2011.

وحتّى إذا لم تكن هناك بيانات دقيقة حول أعداد المسلمين بالضّبط في أوروبا، فهناك تعدادات وتقديرات مختلفة تسمح لنا بتقديم لمحة عامّة عن السّكان المسلمين الحاليّين في أوروبا.

يعتمد «الشّكل رقم 1» على الأرقام المنشورة في الفصول المختلفة من حوليّة المسلمين في أوروبا Yearbook of Muslims in Europe[5] وتعدادات وتقديرات وطنيّة مختلفة.

وتوضّح الخريطة أنّه ما تزال هناك أعداد كبيرة من المسلمين في الجزء الجنوبيّ الشّرقي العثمانيّ السّابق من أوروبا، وأيضًا عدد متزايد في وسط وغرب أوروبا، في حين تحظى دول الكتلة الشّرقيّة السّابقة بأعداد محدودة جدًّا من المسلمين.

Figure 1. Muslim Population of Europe

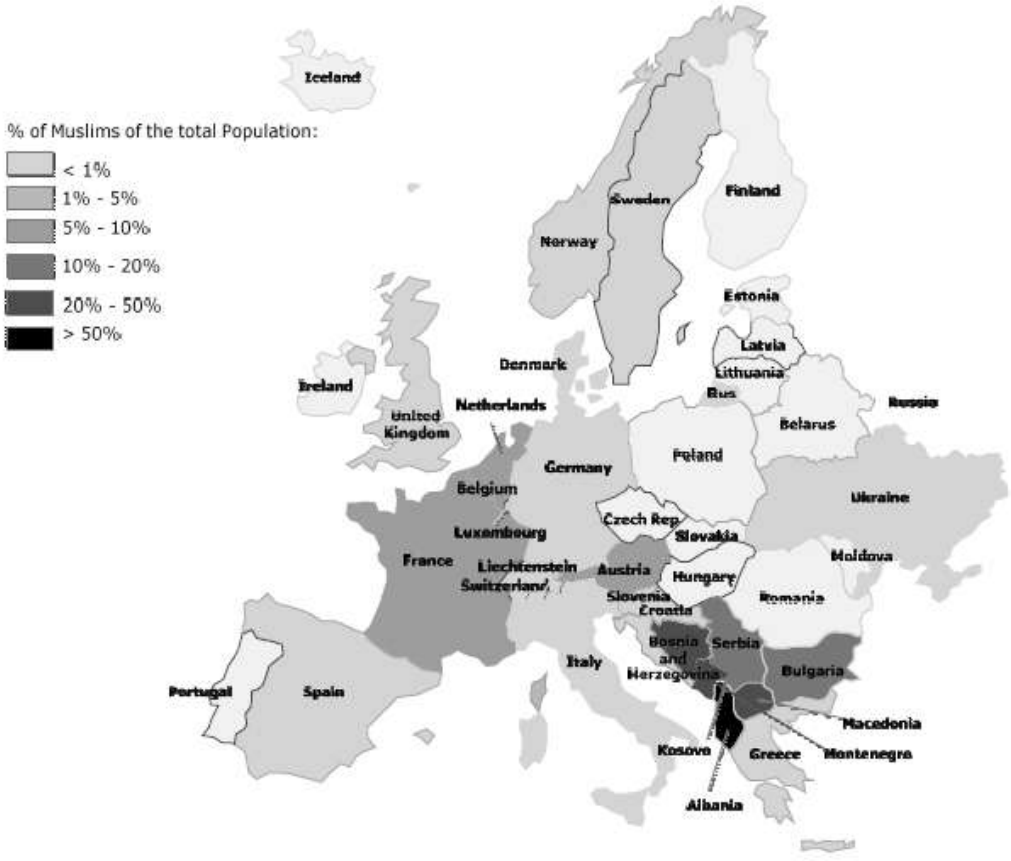

الشكل رقم (1)

5- Jørgen S. Nielsen / Samim Akgönül / Ahmet Alibašić / Brigitte Maréchal / Hugh Goddard (eds., Yearbook of Muslims in Europe 2010 (Leiden: Brill, 2010).

تنوّع الإسلام الأوروبيّ

بالنّظر إلى التّطوّرات الاقتصاديّة والسّياسيّة المختلفة في أوروبا وتواريخ الهجرة المختلفة, يختلف عدد المسلمين من دولة إلى أخرى, فضلًا عن خلفيّتهم العرقيّة واللّغويّة. ويبيّن «الشّكل رقم 2» أصول غالبيّة السّكان المسلمين في مختلف بلدان أوروبا.

أيضاً, هنالك دائماً أقليّات أصغر وأكبر ضمن الجاليات المسلمة. ويبيّن «الشّكل رقم 2» المجموعات الّتي تنحدر منها غالبيّة المسلمين في كلّ بلد.

Figure 2. Origins of the Muslim Population of Europe

الشكل رقم (2)

ومع ذلك, لا تُظهِر الخريطة فقط تعدّديّة المسلمين في أوروبا, ولكن أيضًا العلاقة بين الاستعمار والهجرة. إنّ غالبيّة السّكان المسلمين في كافّة القوى الاستعماريّة السّابقة الكبيرة قد جاءت من مستعمراتها السّابقة, بينما في ألمانيا والنّمسا

جاءت غالبية هؤلاء من الحليفة القديمة تركيا. كما أنّ هجرة العمالة الرخيصة, الّتي يمكن تفسيرها على أنّها استمرار أو إعادة تموضع للعلاقة استعماريّة, قد خلقت الجزء الأكبر من المجتمعات الإسلاميّة الحالية في أوروبا الغربيّة. وهذا بالمقارنة مع الشّرق والجنوب الشّرقي من أوروبا حيث معظم المجتمعات الإسلاميّة هي في الغالب من آثار الإمبراطوريّة العثمانيّة السّابقة أو مختلف خانات التّتار في روسيا وأوكرانيا الحاليّتين.

وقد نتج عن هذا وجود مجموعة متنوّعة جدًّا من المسلمين في أوروبا. حيث تختلف المجتمعات الإسلاميّة في أوروبا بين كلّ بلد وداخل كلّ بلد. وهي تختلف في خلفيّتها القوميّة والعرقيّة واللّغويّة, وأيضًا في انتماءاتها السّياسيّة, ووضعها الاجتماعيّ والاقتصاديّ, وانتمائها الدّينيّ داخل الإسلام.

وبالتّالي, في البلدان ذات الجاليات المسلمة عربيّة الأصل في الغالب, كما هو الحال في فرنسا أو إسبانيا أو إيطاليا, تنتمي الغالبية العظمى من المسلمين إلى المذهب السّنّي بمختلف مدارسه؛ وفي البلدان الّتي يوجد فيها مسلمون من أصل تركيّ في الغالب, كما هو الحال في ألمانيا والنّمسا, تنتمي الغالبيّة السّنّيّة إلى المذهب الحنفيّ, وهناك أيضًا أقلّيّة قويّة من العلويّين, وهم تيار غير أورثوذكسيّ متفرّع عن الشّيعة.

وفي كافّة أنحاء أوروبا, ثمّة أقلّيّات أصغر من الشّيعة الإثني عشريّة من أصل إيرانيّ وعربيّ. وتوجد في بريطانيا أقلّيّات من طوائف مختلفة من الشّيعة الإسماعيليّة وبعض الزّيديّين, وفي فرنسا وبريطانيا توجد أيضًا أقلّيّات صغيرة من الإباضيّة ترجع أصولها إلى الجزائر وعُمان.

وبالإضافة إلى هذه الطّوائف التّقليديّة, فإنّ الطّائفتين المتنافستين من الأحمديّة المعروفتين باسم حركة نشر الإسلام الأحمديّة اللّاهوريّة Ahmadiyya Anjuman Ischat-i-Islam Lahore والجماعة الإسلاميّة الأحمديّة Ahmadiyya Muslim Jamaat حاضرتين في أوروبا. وبسبب القمع الّذي يطال مسلمي الأحمديّة في باكستان, فإنّ الخليفة الرّابع للجماعة الإسلاميّة الأحمديّة قد هرب إلى لندن عام 1984.

ومع الخليفة انتقلت معظم القيادة العامّة العالميّة للجماعة إلى أوروبا[6]. وتتمتّع الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة بحضور قويّ داخل الجالية الباكستانيّة في بريطانيا, وتحظى أيضًا بمجموعات لها في كافّة دول أوروبا تقريبًا وهي نَشِطة بشكل خاصّ في الدّعوة بين المسلمين الآخرين وغير المسلمين.

إلى جانب هذه الاختلافات العرقيّة والطّائفيّة, تتقاطع الهويّات الإسلاميّة مع الطّبقة والجنس والتّوجّه الجنسيّ وغيرها من مصادر الهويّة.

ففي المناخ السّياسيّ الأكثر ليبراليّة في أوروبا, أعاد العديد من المهاجرين المسلمين اكتشاف هويّات عرقيّة معيّنة كانت معرّضة للاضطّهاد أو التّهميش أو على الأقلّ التّجاهل في بلدانهم الأصليّة. ومن ثمّ يستطيع العديد من المسلمين القادمين من تركيا في ألمانيا والنّمسا التّعبير عن كرديّتهم بحرّيّة أكبر ممّا هو عليه الوضع تركيا. وبالنّسبّة إلى الكثيرين منهم, فإنّ الهويّة القوميّة الكرديّة أهمّ بكثير من هويّتهم الدّينيّة بوصفهم مسلمين. وفي بريطانيا, طوّر الكثير من المسلمين الباكستانيّين هويّاتهم الخاصّة واعتبروا أنفسهم في المقام الأول كشميريين وبشتون وبالوتشي وما إلى ذلك.

كلّ هذا يجعل الواقع الاجتماعيّ للمسلمين الأوروبيّين شديد التّعدديّة, على عكس صورة الكتلة الموحّدة من المسلمين الّتي يتصورها الخطاب العام للعديد من الدّول الأوروبيّة. لا يوجد إسلام أوروبيّ واحد, ولكنْ مسلمون أوروبيّون متنوعون وذوو مواقف مختلفة تجاه هويّتهم الدّينيّة.

الوضع الاجتماعيّ والاقتصاديّ للمسلمين في أوروبا

ينعكس هذا التّنوّع أيضًا في الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة للمسلمين في أوروبا. ففي البلدان ذات الأغلبيّة المسلمة التّقليديّة, مثل؛ تركيا وألبانيا والبوسنة, يتواجد المسلمون في كلّ شريحة من شرائح المجتمع. ومع ذلك, فإنّ بعض السّكان

6- Andrea Lathan, “Reform, Glauben und Entwicklung: die Herausforderungen für die Ah-madiyya Gemeinde” in Dietrich Reetz, ed.: Islam in Europa. Religiöses Leben heute. Ein Porträt ausgewählter islamischer Gruppen und Institutionen (Münster / New York / München / Berlin: Waxmann, 2010), pp. 79-107, p. 100.

الأصليّين المسلمين في أوروبا يعيشون في المناطق الرّيفيّة ذات الاقتصاد الضّعيف وقلّة الوصول إلى التّعليم العالي. ويتشمل هذا على شعوب البوماك من بلغاريا والغورنكي في المناطق الحدوديّة بين كوسوفو وألبانيا ومقدونيا.

إنّ البيانات المتعلّقة بالوضع الاجتماعيّ والاقتصاديّ للمهاجرين المسلمين في أوروبا الغربيّة ليست دقيقة بالفعل. وإحصاءات الدّول الأوروبيّة المختلفة لا تُعدّ غالبًا قابلة للمقارنة بشكل مباشر. فمعظم الإحصاءات في الدّول الأوروبيّة لا تربط الفقر أو النّجاح الاقتصاديّ بالدّين. ومن ثمّ فليس لدينا بيانات كافية لتقديم صورة نهائيّة عن فقر المسلمين بالمقارنة مع غير المسلمين في أوروبا. ومع ذلك, يمكن القول إنّ المهاجرين المسلمين في أوروبا ينتمون بشكل عامّ إلى خلفيّة مختلفة مقارنة بنظرائهم في الولايات المتّحدة. ففي حين يتمتّع المهاجرون المسلمون إلى الولايات المتّحدة بتعليم عالٍ بشكل عام, فإنّ العديد من المهاجرين المسلمين في أوروبا يأتون من خلفيّة ريفيّة أو من طبقات عمّاليّة. حيث لم يأتِ معظمهم في صورة موظّفين أو طلّاب دوليّين كما هو الحال في الولايات المتّحدة, وإنّما كانوا عمّالًا أو لاجئين. وتظْهَر نتائج مثل هذه الوضعيّة في شروط انطلاق مختلفة نحو الاندماج والتّقدّم الاجتماعيّ في المجتمع الجديد. فبينما يمكن أن يقول المسلمون الأميركيّون إنّهم مجتمع «متعلّم بشكل كبير» حيث «58 في المئة منهم يحملون شهادات جامعيّة؛ ومجتمع ناجح إلى حدٍّ كبير, حيث يكسب 50 في المئة منهم أكثر من 50 ألف دولار سنويًّا»[7], فإنّ المسلمين الأوروبيّين أقلّ نجاحًا من أقرانهم الأميركيّين.

وفي عام 2006, ذكرت دراسة لمركز الرّصد الأوروبيّ المعنيّ بالعنصريّة وكراهية الأجانب - المؤسّسة السّابقة على وكالة الاتّحاد الأوروبي للحقوق الأساسيّة - أنّه ليس فقط المسلمين, ولكنْ المهاجرون في كافّة أنحاء أوروبا يعانون من الممارسات التّمييزيّة إلى حدٍّ كبير, خاصّةً فيما يتعلّق بالتّشغيل وفي مجال المعاملات التّجاريّة. وقد ذكر ثلث المُستطلَعين تقريبًا أنّهم تعرّضوا للتّمييز عبر منعهم من الحصول على وظائف أو فقدهم لترقيات أو تعرضهم لمضايقات في العمل. وزعم أكثر من

7- Abdus Sattar Ghazali, Muslim Immigration to the USA, January 1, 2004. http://www.ghazali.net/amp/html/four_waves.html, accessed on April 26, 2011.

واحد من بين كلّ أربعة أشخاص أنّهم تعرّضوا للتّمييز في المعاملات التّجاريّة, إمّا من خلال رفض إتاحة السّكن أو الائتمان أو القروض[8].

وبالرّغم من أنّ العديد من هؤلاء المهاجرين هم من المسلمين, فإنّ ذلك لا يعني بالضّرورة وجود تمييز تجاه المسلمين بالتّحديد. وتشير الدّراسة إلى أنّ مسألة التّمييز ضدّ المسلمين تختلف بشكل كبير في كافّة أنحاء أوروبا:

في حين يبدو الرّأي القائل بأنّ المسلمين عرضة بشكل خاصّ لمواجهة التّمييز صحيحًا بالنّسبة إلى بعض البلدان, وفقًا للدّراسات الّتي أجريت في إسبانيا وإيطاليا وهولندا والبرتغال, فإنّ معظم الدّراسات القُطريّة حول تجارب المهاجرين فيما يتعلّق بالعنصريّة وكراهية الأجانب لا تدعم مثل هذا الافتراض[9].

ومع تزايد الجدل حول اندماج المسلمين في أوروبا, ازداد الطّلب على بيانات حول الظّروف المعيشيّة للمسلمين في أوروبا. ومع ذلك, ما تزال قاعدة البيانات ضعيفة للغاية لأنّه في كافّة الأبحاث المتعلّقة بالظّروف الاجتماعيّة والاقتصاديّة لا تستهدف المؤشّرات المسلمين باعتبارهم مجموعة محددة.

وبالرّغم من قاعدة البيانات الضّعيفة هذه, ذكرت دراسة مركز الرّصد الأوروبيّ المعنيّ بالعنصريّة وكراهية الأجانب ما يلي فيما يتعلق بمسألة البطالة:

بالرّغم من أنّ الاختلافات الحاصلة في الأجور ونوع العمالة ومعدّلات البطالة الخاصّة بالمهاجرين, والّتي تنتمي نسبة كبيرة منها إلى المجموعات الدّينيّة المسلمة, تشير إلى الإقصاء والحرمان والتّمييز على نحو مستمر, فإنّه سيكون من المضلّل أن نعزو ذلك فقط إلى الاختلافات الدّينيّة أو الثّقافيّة. فهناك مجموعة متنوّعة من العوامل المترابطة, مثل رأس المال البشريّ (المؤهّلات التّعليميّة والمهنيّة والمهارات اللُّغوية وما إلى ذلك) والتّغيرات البنيويّة في الاقتصاد والأهميّة المتزايدة للشّبكات الاجتماعيّة غير الرّسمية, تعمل على التّأثير على فرص

8- European Monitoring Centre on Racism and Xenophobia, Muslims in the European Union. Discrimination and Islamophobia (EUMC: Vienna, 2006) p. 32.

9- المصدر نفسه، ص. 33.

العمل وأداء مجموعات المهاجرين. ومع ذلك، هنالك أدلّة تشير إلى أنّ الدّين يلعب دورًا في التّمييز الوظيفيّ[10].

بالرّغم من حقيقة أنّ هناك بعض الأدلة على أنّ المسلمين في أوروبا يتمتّعون أيضاً بفرص أقلّ للوصول إلى التّعليم العالي وإمكانيات محدودة للتّقدّم الاجتماعيّ بسبب خلفيّتهم الطّبقيّة، فإنّه لا وجود لبيانات موثوقة حول العديد من الحقائق الاجتماعيّة والاقتصاديّة المتعلّقة بالمسلمين في أوروبا. وفي الآونة الأخيرة، حاول عالم السّياسة النّمساويّ أرنو تاوش Arno Tausch استخلاص بعض البيانات حول الاندماج الاجتماعيّ والفقر وارتباط ذلك بالرّدكلة السّياسيّة بين المسلمين في أوروبا من كلّ من «مسح القيم العالميّ World Values Survey» و«المسح الأوروبيّ European Survey». ويوضّح تقييمه للبيانات أنّه في كافّة بلدان أوروبا الغربيّة كان الخطر الشّخصيّ للتّعرّض للفقر لدى المسلمين أعلى بكثير من متوسط عدد السّكان. ففي عام 2004، رأى 12 في المئة فقط من غير المسلمين في النّمسا أنفسهم ضمن خطر التّعرّض إلى الفقر، مقارنة بنسبة 46.5 في المئة من السّكان المسلمين الّذين وجدوا أنفسهم معرّضين لخطر الفقر. وفي الدّنمارك، رأى 3.9 في المئة فقط من غير المسلمين أنفسهم ضمن خطر التّعرّض إلى الفقر، مقارنة بـ 25.1 في المئة من السّكان المسلمين[11]. ومن هذه البيانات، ابتكر تاوش ‹مؤشّر التّنمية الإسلاميّة Muslim Development Index› على غرار ‹مؤشر التّنمية البشريّة Human Development Index› لبرنامج الأمم المتّحدة الإنمائيّ. ووفقًا لهذا المؤشّر، فإنّ المسلمين في سويسرا وإسبانيا وسلوفينيا هم أكثر المسلمين اطمئنانًا [من النّاحية المعيشيّة] في الاتّحاد الأوروبيّ، في حين أنّ مسلمي بريطانيا وألمانيا والنّمسا وفرنسا هم الأكثر استياءً، حيث كانت فرنسا هي الأسوأ إلى حدٍّ بعيد[12].

10- المصدر نفسه، ص. 44.

11- Arno Tausch, Armut und Radikalität? Soziologische Perspektiven zur Integration der Muslime in Europa basierend auf dem “World Values Survey” und dem “European Social Survey” (Bremen: Europäischer Hochschulverlag, 2010), p. 122f.

12- المصدر نفسه، ص. 151.

ومع ذلك، حتّى لو كان هناك الكثير من الاختلافات المتعلّقة بالنّجاح الاقتصاديّ والتّعليم بين الجاليات المسلمة في الدّول الأوروبيّة المختلفة، وكذلك داخل الجاليات المختلفة، فإنّه يمكن القول بوجود ميل إلى أنّ المسلمين في أوروبا أكثر فقرًا وأقلّ تعلّمًا من غير المسلمين.

الإسلام والهويّة

إنّ أسباب هذه الاختلافات الاجتماعيّة بالطّبع ليست دينيّة، وإنّما تنبع من الخلفيّات الاجتماعيّة المختلفة والفرص المحدودة للتّقدّم للمهاجرين الأقلّ حظًّا في المجتمعات الطّبقيّة الأوروبيّة القائمة. ومع ذلك، فإنّ العديد من النّقاشات الّتي تدور حول اندماج المسلمين في أوروبا ما تزال تربط الدّين والثّقافة بالفقر ونقص التّعليم. ويروّج دعاة الكراهية مثل الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة أو الدّيموقراطيّ الاشتراكيّ الألمانيّ تيلو سارازين Thilo Sarrazin خطأً أنّ الإسلام هو أصل هذه المشكلات[13]. ولذلك، فإنّ النّقاش في العديد من الدّول الأوروبيّة ينحرف إلى نقاش حول الثّقافة والدّين ولا يركز على الحقائق الاجتماعيّة الّتي لا يتمّ بحثها إلى حدٍّ بعيد.

هنالك دلائل تشير إلى أنّه بالنّسبة إلى بعض السّكان المسلمين، وكذلك غير المسلمين، يلعب الإسلام دورًا مهمًّا في عمليّة بناء الهويّة. فيتمّ استخدامه لتعيّين «الهوية الأوروبيّة» الخاصّة بهم ضدّ دين «أجنبيّ» و«شرقيّ» متخيّل. ومع ذلك، من النّاحية الإسلاميّة لا يعني ذلك بالضّرورة أنّ عمليّة بناء هويّة إسلاميّة ستعني أيضًا تديّنًا أقوى أو أكثر محافظة. وكما يستنتج العالم الاجتماعيّ البريطانيّ يوناس صمد Yunas Samad، الّذي بحث في عرقنة الإسلام بين المسلمين البريطانيّين الشّباب المنحدرين من أصل باكستانيّ:

يستخدم الشّبان والشّابات الإسلامَ من أجل التّحرك نحو مجال مفتوح للتّفاوض الجندريّ والجيليّ. حيث أصبح الإسلام مؤشّرًا على أنّهم، أو هكذا أصبحوا، أكثر بريطانيّة/أوروبيّة، وأنّهم قد أعادوا صياغة اختلافات في عمليّة تعيين الهوية فيما يتعلّق بوالديهم. كما يُستخدم الإسلام كأداة، لا سيّما من جانب النّساء، للتّفاوض

13- Thilo Sarrazin, Deutschland schafft sich ab. Wie wir unser Land aufs Spiel setzen (Mu-nich: Deutsche Verlags-Anstalt, 2010).

بشأن القرارات الحياتيّة المهمّة مثل الزّواج والاستمرار في التّعليم والعمل. ولا ينبغي بالضّرورة أن يُنظر إليه على أنّه مؤشّر على زيادة التّفاني في الإيمان أو على التّدين[14].

وهكذا فإنّ الإسلام بالنّسبة إلى العديد من المسلمين وغير المسلمين لا يلعب فقط دورًا دينيًّا, بل دورًا في عمليّة خلق هويّاتي جماعيّة وشخصيّة. وبالرّغم من أنّ تحليل هذه البنى الهويّاتيّة قد يكون أبعد من نطاق هذه المقالة, إلّا أنّ هذه الأبعاد المتعدّدة للهويّة الإسلاميّة يجب أن تبقى في الذّهن أثناء مناقشة مسائل علاقات غير المسلمين والمسلمين في أوروبا بالإضافة إلى الوضعيّة القانونيّة للإسلام داخل الدّول الأوروبيّة العلمانيّة.

الإسلام والدّولة: الإطار القانونيّ للإسلام

يختلف الوضع القانونيّ للإسلام باعتباره دينًا على نحو كبير في أوروبا. فالوضع الرّسميّ للإسلام يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالعلاقة العامّة بين الدّولة والدّين. وبصرف النّظر عن دولة مدينة الفاتيكان الدّينيّة, فإنّ الدّول الأوروبيّة لديها أشكال مختلفة من الأنظمة العلمانيّة ذات التّقاليد المختلفة من العلاقات بين الدّولة والكنيسة. ففي حين تشجّع اللّائكيّة الفرنسيّة على الغياب التّام للتّدخّل الدّينيّ في أيّ شؤون حكوميّة والفصل التّام بين الدّولة والدّين, فإنّ دولًا أوروبيّة أخرى مثل؛ النّمسا وألمانيا وإيطاليا, لديها نموذج للتّعاون بين الكنائس والمجتمعات الدّينيّة والدّولة. وثمّة مجموعة ثالثة من الدّول, مثل بريطانيا العظمى أو الدّنمارك أو ليختنشتاين, ما تزال لديها كنيسة رسميّة. وكلّها تتبع النّظام الملكيّ. وفي بعض منها رئيس الدّولة هو أيضًا رئيس كنيسة الدّولة. فعلى سبيل المثال, الملكة البريطانيّة هي أيضًا رئيسة كنيسة انجلترا. ومع ذلك, فإنّ جميع هذه الدّول تضمن حرّية الدّين وتعترف بالكنائس والأديان الأخرى.

14- Yunas Samad, “Ethnicization of Religion” in Yunas Samad / Kasturi Sen (eds.), Islam in the European Union. Transnationalism, Youth and the War on Terror (Karachi: Ameena Saiyid, Oxford University Press, 2007), pp. 160-169, p. 168

ومع ذلك، من المهمّ الإشارة إلى أنّ كلّ هذه النّماذج قد جرى إنشاؤها لتنظيم أوضاع الكنائس المسيحيّة. لكن ليست كلّ الأديان منظّمة في بنية كنيسة ما. فلم يقم الإسلام أبدًا بإنشاء «كنيسة» والإسلام السّنّي، الّذي تعتنقه الغالبيّة العظمى من كافّة المسلمين، لم يسبق له أبدًا أن أنشأ تسلسلًا دينيًّا محدّدًا. هذا الافتقار إلى «الكنيسة» يجعل من الصّعب على المسلمين أن يتناسبوا مع البنى القائمة لعلاقات الدّولة-الكنسية في معظم الدّول الأوروبيّة. وكما يجادل عن حقّ أيهان كايا Ayhan Kaya، أستاذ العلوم السّياسيّة ومدير المعهد الأوروبيّ بجامعة اسطنبول بيلجي،

فإنّ الدّول الغربيّة العلمانيّة اتّبعت النّمط نفسه لاستيعاب الإسلام، الّذي ولّدته قبل ذلك لاستيعاب معتقدات أخرى مثل الكنائس الأرثوذكسيّة والكاثوليكيّة والبروتستانتيّة أو اليهود[15].

ومع ذلك، فإنّ ذلك النّموذج لم يكن مناسبًا لدين أقلّ مؤسّسيّة مثل الإسلام. فبينما رأت الكنائس المسيحيّة التّقليديّة الرّائدة في أوروبا، لا سيّما الكنائس الكاثوليكيّة والأرثوذكسيّة، نفسها وتسلسلها الهرميّ كوسائط بين الإله والمؤمنين، فإنّ الإسلام لا يعرف الكهنوت على هذا النّحو ولديه مفهوم للتّفاعل أكثر مباشرة بكثير بين الإله والمؤمنين. ولذلك، لا يحتاج المسلمون المحافظون بشدّة والأورثوذكسيّون أو المتشدّدون بصرامة إلى مؤسّسة دينيّة لممارسة معتقدهم.

إنّ المطالبة بمأسسة الإسلام من جانب الدّول الأوروبيّة من جهة والمفهوم الإسلاميّ التّقليديّ عن الخضوع الشّخصيّ لسلطة الإله من جهة أخرى يؤدّيان إلى تطوّر متناقض في الإسلام الأوروبيّ. ويذكر أيهان كايا أسبابًا إضافيّة لهذا التّطوّر المتناقض لفردنة ومسأسسة الإسلام في أوروبا:

لقد زُعم أنّه في الوقت الّذي تجبِر فيه عمليات العولمة المسلمين الأصغر على التّحرّر من ضغوط ثقافتهم الذّكوريّة الأبويّة والمجتمعيّة، فإنّ الدّول الغربيّة والوسطاء الدّينيّين والعرقيّين-الثّقافيّين في وضع يمكّنهم من تجسيد الحدود

15- Ayhan Kaya, Islam, Migration and Integration. The Age of Secularization (Basingstoke (Hampshire): Palgrave Macmillan, 2009), p. 199.

العرقيّة والدّينيّة أو تعزيزها. ومن ثمّ، يتبيّن أنّ أحفاد المهاجرين يتمّ سحقهم بين فردنة ومأسسة الإسلام[16].

هذا وقد أخذت الدّول الأوروبيّة مسارات مختلفة في عمليّة مأسسة الإسلام. وبصرف النّظر عن البلدان الّتي شكّلها الإسلام تقليديًّا، مثل البوسنة وألبانيا وكوسوفو والبلدان ذات الأقلّيّات الإسلاميّة التّقليديّة مثل؛ روسيا أو بولندا أو اليونان، الّذين لديهم أساسًا ممثّلون إسلاميّون تقليديّون، فإنّه يمكن الحديث عن دولتين أوروبيّتين فقط تمتلكان مؤسّسة إسلاميّة مساوية رسميًّا للكنائس المسيحيّة وغيرها من الأديان المعترف بها رسميًّا. فبينما أقامت كلّ من النّمسا وبلجيكا مجتمعات دينيّة معترف بها رسميًّا يجب - على الأقلّ نظريًّا - أن تمثّل الإسلام على الدّرجة نفسه من المساواة مقارنة بالكنائس المسيحيّة أو المجتمعات اليهوديّة، فإنّ العديد من الدّول الأخرى قد شكّلت هيئات تمثيليّة مختلفة.

كما تعترف المجر رسميًا بالمجتمعات الدّينيّة الإسلاميّة. ومع ذلك تنبغي الإشارة إلى أن قانون الشؤون الدّينيّة المجريّ قد تمّت صياغته على غرار نظيره في الولايات المتّحدة. وهو ما يجعل من السّهل للغاية إنشاء مجتمعات دينيّة مسجّلة رسميًّا، لكن ليس لديها الكثير من الامتيازات. وفي هذه الأثناء، هناك ثلاثة مجتمعات مسلمة مختلفة معترف بها رسميًّا، بالرّغم من أنّ لديها فقط بضع مئات من الأعضاء[17]. وبالرّغم من تبنّي الحكومة اليمينيّة الجديدة «قانون الحقّ في حرية المعتقد والدّين، والكنائس والأديان والجماعة الدينية» في 12 تمّوز (يوليو)، فإنّ 14 مجموعة دينيّة فقط من أصل 358 مجموعة في المجر سيتمّ منحها اعترافًا رسميًّا بموجب القانون فيما ستفقد المئات من المجموعات تلقائيًّا وضعها «المسجّل» واعتبارًا من الأوّل من كانون الثّاني (يناير) 2012 لن تتلقّى مخصّصات ماليّة لدعم أعمالها[18]. على أنّه لا توجد مؤسّسة واحدة من الـ 14 مؤسّسة المعنيّة تنتمي للمجتمع المسلم.

16- المصدر نفسه، ص. 199f.

17- 7Gyorgy Lederer, “Hungary,” in: Jørgen S. Nielsen / Samim Akgönül / Ahmet Alibašić / Brigitte Maréchal / Hugh Goddard eds., Yearbook of Muslims in Europe 2010 (Leiden: Brill, 2010) pp. 245–249, p. 246.

18- http://8http://www.freedomhouse.org/template.cfm?page=70&release=1480, accessed on November 10, 2011.

وفي معظم الدّول الأوروبيّة الأخرى، كانت هناك نيّة لإنشاء نوع من التّمثيل للمسلمين، وكان لدى كلّ واحدة منها نوع مختلف من النّجاح.

في عام 1992، أسّست إسبانيا الهيئة الإسلاميّة الإسبانيّة Comisión Islámica de España من خلال توحيد الفيدراليّة الإسبانيّة للكيانات الدّينيّة الإسلاميّة Federación Española de Entidades Religiosas Islámicas واتّحاد الجاليات الإسلاميّة في إسبانيا Unión de Comunidades Islámicas en España. وقد تمّ إنشاء الهيئة الإسلاميّة الإسبانيّة باعتبارها الممثّل الوحيد للإسلام أمام الدّولة. إنّها ليست جماعة دينيّة رسميّة مماثلة للكنيسة الكاثوليكيّة، كما أنّها لا تشمل جميع التّيارات الرّئيسة الموجودة في المجتمعات الإسلاميّة في إسبانيا. وتتساءل العالمة السّياسيّة والمختصّة في الإسلام بريجيت مارشال Brigitte Maréchal عن فعّالية الهيئة «لأنّها لا تمثّل تنوّع المسلمين، ولا المهاجرين الّذين هم الأكثر فقرًا والّذين وصلوا مؤخّرًا، غالبًا بشكل غير قانونيّ»[19].

وفي عام 2003، شكّلت فرنسا المجلس الفرنسيّ للعبادة الإسلاميّة Conseil Français du Culte Musulman باعتباره هيئة تمثيليّة للمسلمين الفرنسيّين. وقد جرى تسجيل المجلس على أنّه جمعية غير ربحيّة[20] وليس باعتباره مجتمعًا دينيًّا. وهو يشكّل هيئة منتخبة تعمل بوصفها جهة اتّصال لسلطات الدّولة وتتألّف من 25 مجلساً إقليميّاً للعبادة الإسلاميّة Conseil Regional du Culte Musulman. ومنذ نشأته، كان المجلس الفرنسي للعبادة الإسلاميّة مشلولًا جزئيًّا بسبب النّزاعات بين المنظّمات الإسلاميّة المتنافسة، لا سيّما بين جماعة الإخوان المسلمين المنتمية إلى اتّحاد المنظّمات الإسلاميّة في فرنسا Union des organisations islamiques de France والجماعات الأكثر علمانيّة مثل المسجد الكبير في باريس Grande Mosquée

---

19- Brigitte Maréchal, "Institutionalisation of Islam and Representative Organisations for Dealind with European States" in: Brigitte Maréchal / Stefano Allievi / Felice Dassetto / Jørgen Nielsen (eds) Muslims in the Enlarged Europe. Religion and Society (Leiden: Brill, 2003) pp. 151–182, p.163.

20- http://0http://www.journal-officiel.gouv.fr/association/index.php?ACTION= Rechercher&HI_PAGE=1&HI_COMPTEUR=0&original_method=get&WHAT=c ulte+musulman&JTH_ID=&JAN_BD_CP=75013&JRE_ID=&JAN_LIEU_DECL= &JTY_ID=&JPA_D_D=07%2F06%2F2003&JPA_D_F=07%2F06%2F2003, accessed on April 26, 2011.

de Paris. وتجادل عالمة السّياسة مليكة الزّغل بأنّ إنشاء المجلس الفرنسيّ للعبادة الإسلاميّة قد جاء نتيجة لإستراتيجيّة وضعتها النّخب السّياسيّة الفرنسيّة وليس المسلمين الفرنسيّين[21].

هذا هو الحال أيضًا في الجهود الّتي تبذلها ألمانيا لإنشاء هيئة تمثيليّة للمسلمين الألمان. فقد تأسّس المؤتمر الإسلاميّ الألمانيّ Deutsche Islamkonferenz في عام 2006 على يد وزارة الدّاخلية لفترة محدودة من أجل تشجيع الحوار المنظّم بين الدّولة الألمانيّة والممثّلين المسلمين الّذين تمّ تعيينهم من قِبل الوزارة. ويقول أستاذ القانون ماتياس روه Mathias Rohe, الّذي كان هو نفسه عضوًا في المؤتمر:

إنّ هذه التّعيينات (بطبيعة الحال) كانت محلّ نزاع منذ البداية: فقد اشتكى المسلمون السّنّة المنظّمون من وضعهم كـ»أقلية» مقارنة بالأغلبيّة «العلمانيّة», في حين رفض البعض الآخر مشاركة المسلمين المحافظين, لا سيّما أولئك الخاضعين للمراقبة من قِبل الأجهزة الأمنيّة. وبطبيعة الحال, فإنّ كلّ من لم تتمّ دعوته قد طعن في سلطة المجلس للتّحدّث باسم المسلمين. وهذا ينطبق أيضًا على ممثّلي الدّولة: فلا أحد منهم من أعضاء البرلمان, وقد أدّى ذلك إلى انتقادات بـ»عدم الشّفافية» طالت المؤتمر الإسلاميّ الألمانيّ. ومن ثمّ قرّرت الوزارة بوضوح أن تبدأ في طريق غير رسميّة عوضًا عن الدّخول في عمليّة سياسيّة واسعة منذ البداية[22].

ومع ذلك, وبالرّغم من الانتقادات, شاركت جميع المنظّمات المظلّيّة الإسلاميّة المهمّة, بما في ذلك فيدراليّة المجتمعات العلويّة, في الدّورة الأولى من المؤتمر. وفي الدّورة الثّانية, الّتي بدأت عام 2010, كانت المنظّمة الإسلاميّة المظلّيّة ذات العضوية الأكبر مفقودة. ويبرّر المؤتمر الإسلاميّ الألماني غياب المجلس الإسلاميّ Islamrat قائلًا:

21- Malika Zeghal, La constitution du Conseil Français du Culte Musulman: Reconnaissance politique d'un Islam français? Archives des Sciences sociales des religions 129 (janvier–mars 2005) pp. 97–113.

22- Mathias Rohe, "Germany," in Jørgen S. Nielsen / Samim Akgönül / Ahmet Alibašić / Brigitte Maréchal / Hugh Goddard eds., Yearbook of Muslims in Europe 2010 (Leiden: Brill, 2010) pp. 217–232, p. 218f.

بسبب الإجراءات التّمهيدية المعروفة السّارية ضدّ قياديّين في الجماعة الإسلاميّة ميلي غوروش Milli Görüş, أكبر منظّمة عضو في المجلس الإسلاميّ، فإنّ عضويّته في المؤتمر الإسلاميّ الألمانيّ قد علّقت في الوقت الحالي. وقد تخلّى المجلس الإسلاميّ عن خيار الحفاظ على تجميد العضويّة[23].

وبالرّغم من استمرار عمل المؤتمر الإسلاميّ الألمانيّ، إلّا أنّه لم يؤدّ إلى إنشاء مجتمع دينيّ معترف به من جانب الدّولة. وما كان إلّا أن قام عدد من المنظّمات المظلّيّة الإسلاميّة ذات الأغلبيّة السّنيّة بتشكيل منظّمة مظلّيّة جديدة تدعى مجلس التّنسيق من أجل المسلمين Koordinierungsrat der Muslime في عام 2007. وزعمت المنظّمة أنّها تمثّل جميع المسلمين، سنّة وشيعة، في ألمانيا، لكن تمثيليّتها متنازع عليها بشدّة. وقد تحوّلت إلى منظّمة ضعيفة للغاية. وحتّى الآن، لا يوجد مجتمع دينيّ إسلاميّ معترف به رسميًّا على المستوى الاتّحاديّ ويتمتّع بالحقوق نفسها الّتي تتمتّع بها الكنائس المسيحيّة أو الطّوائف اليهوديّة.

ولم تحاول بعض الدّول الأوروبيّة الأخرى مثل المملكة المتّحدة وإيطاليا إنشاء منظّمة مظلّيّة قانونيّة أو العمل على تمثيل لجميع المسلمين في دولها. ومع ذلك، فإنّ هذه الدّول لديها منظّمات إسلاميّة متزاحمة ومختلفة موجودة داخل كلّ منها.

كما حاولت بعض المنظّمات الإسلاميّة تأسيس منظّمات مظلّيّة أوروبيّة مثل المجلس الإسلاميّ للتّعاون في أوروبا Muslim Council for Cooperation in Europe. لكن كانت هذه المحاولات من أجل إقامة بنية إسلاميّة أوروبيّة موحّدة مخيّبة للآمال بسبب الافتقار إلى وجود ممثّلين.

حالة النّمسا: الاعتراف بـ «كنيسة» إسلاميّة

ليس من المفاجئ أن تكون أوّل دولة غير مسلمة في أوروبا الغربيّة تعترف رسميًّا بالإسلام باعتباره دينًا قد فعلت ذلك في إطار تجربة إنشاء مؤسّسة إسلاميّة

23- http://3http://www.deutsche-islam-konferenz.de/cln_110/nn_1917156/SubSites/DIK/EN/TeilnehmerStruktur/Teilnehmer/teilnehmer-node.html?_nnn=true, accessed on April 27, 2011.

شبيهة بالكنيسة. تمثّل هذه البنية الشبيهة بالكنيسة الإسلامَ مثلما تقوم الكنيسة الكاثوليكيّة بتمثيل الكاثوليكيّة. ويأتي الاعتراف بالإسلام من جانب النّمسا كنتيجة لتطوّر تاريخيّ محدّد. فلم يكن الإسلام هو الّذي جاء إلى النّمسا, بل كانت النّمسا هي الّتي أتت إلى الإسلام, أو على نحو أدقّ إلى البوسنة. فقد قامت النّمسا باحتلال البوسنة عام 1878. وبالتّالي, خلقت قوّات الاحتلال كلّ تلك البُنى المحيطة بالإسلام, والّتي ما تزال تمثّل اليوم خصائص الإسلام البوسنيّ, شأن منصب المفتي أو رئيس العلماء, على سبيل المثال.

لم يؤدّ تأسيس هذه البنى الإسلاميّة المستقلّة إلى التّسامح فحسب, بل إلى فكّ ارتباط دينيّ عن اسطنبول. وقد استند الاعتراف بالإسلام باعتباره مجتمعًا دينيًّا إلى المذهب الحنفيّ وتمّ تأكيده من خلال قانون 15 تمّوز (يوليو) 1912, RGBL Nr. 159, وبعد ذلك أخذ وضعًا أكثر تفصيلًا[24]. ومن ثمّ, لكي نكون أكثر دقّة, يمكن الاستنتاج بأنّ الإسلام السّنّيّ الحنفيّ قد تمّ الاعتراف به بوصفه مجتمعًا دينيًّا في النّمسا منذ ضمّ البوسنة, الأمر الّذي أدّى إلى امتيازات مثل إدخال رجال الدّين المسلمين للجيش [للوعظ]. وقد أعطيت الامتيازات نفسها للكنائس البروتستانتيّة والمجتمعات الدّينية اليهوديّة.

في أوروبا الغربيّة, يُعترف بالإسلام رسميًّا فقط في بلجيكا والنّمسا. وفي النّمسا, لا يعتبر وضع الإسلام الفريد نتيجة لهجرة العمّال المسلمين في ستينيّات وسبعينيّات القرن العشرين, بل هو في الحقيقة نتيجة لعلاقة تاريخيّة بين النّمسا ودول البلقان, لا سيّما مع البوسنة والهرسك[25].

24- Ismail Balić, "Zur Geschichte der Muslime in Österreich I: Lebensräume und Konflikt-felder," in Susanne Heine (ed.), Islam zwischen Selbstbild und Klischee. Eine Religion im Österreichischen Schulbuch, Wien: Böhlau, 1995, p. 25.

25- Sabine Kroissenbrunner, "Islam, Migration und Integration: soziopolitische Netzwerke und ‚Muslim leadership'," in: Heinz Fassmann and Irene Stacher eds., Österreichischer Migrations- und Integrationsbericht. Demographische Entwicklungen— sozioökonomische Strukturen—rechtliche Rahmenbedingungen (Wien, Klagenfurt/ Celovec: Drava, 2003) pp. 375–394.

ولم تؤدّ نهاية الملكيّة النّمساويّة المجريّة في عام 1918 إلى إحداث أيّ تغيير في هذا الوضع القضائيّ المحدّد, باستثناء فقدان أفراد الجماعة الدّينيّة الإسلاميّة من خلال انفصال البوسنة. ومنذ ذلك الحين, كان هذا القانون في طور السّكون بشكل أو بآخر حتّى يوم 2 أيّار (مايو) 1979, عندما تمّ السّماح بإنشاء المجتمع الدّينيّ الإسلاميّ في النّمسا Islamische Glaubensgemeinschaft in Österreich. وقد حظي طلب الرّئيس الأوّل للمنظّمة أحمد عبد الرحيم بتمثيل جميع «المنتسبين إلى الإسلام [...] الّذين يقيمون في النّمسا» بقبول من جانب الهيئة القانونيّة والجمهور. ومنذ ذلك الحين يطالب المجتمع الدّينيّ الإسلاميّ في النّمسا بالحقوق الكاملة للتّحدّث باسم كافّة المسلمين في النّمسا, بغض النّظر عمّا إذا كانوا يدفعون رسوم العضويّة أم لا. وقد خلق هذا كوكبة غريبة تدّعي فيها المنظّمة تمثيل جميع المسلمين في النّمسا, في حين أنّها في الواقع لا تتشكّل سوى من أقلية صغيرة من الأعضاء المنتسبين - ولم يتمّ الكشف عن العدد الدّقيق للجمهور النّمساوي. هذه المجموعة الصّغيرة الّتي تدفع الرّسوم هي المجموعة الوحيدة الّتي لديها الحقّ الكامل والنّشط في التّصويت لصالح مختلف لجان المنظّمة. وقد ذكر عبد الرحيم ذلك على نحو أكثر دقّة في أحد نصوصه حول المنظّمة:

هنا جميع المنتسبين إلى الإسلام, الّذين ليسوا من أتباع المذهب الحنفي, شأن بقية مذاهب أهل السّنّة (الشّافعيّة, المالكيّة, الحنابلة) والشّيعة (الإثني عشريّة, الزّيديّة, الإباضيّة), يقفون على قدم المساواة مع أتباع المذهب الحنفيّ[26].

أوّلاً, يُعِد الإباضيّين على نحو خاطئ باعتبارهم جزءًا من الشّيعة, فيما تنحدر الإباضيّة من الخوارج وليس لهم أيّ صلة على الإطلاق بالشّيعة[27] - وهو خطأ كرّره العديد من الكتّاب الآخرين. ثانيًا, من الواضح أنّ حركات الإسلام التّقليديّة فقط هي الّتي تجد مكانها في تعداده.

26- Ahmed Abdelrahimsai, "Zur Geschichte der Muslime in Österreich II: Die Islamische Glaubensgemeinschaft," in Susanne Heine (ed.), Islam zwischen Selbstbild und Klischee. Eine Religion im Österreichischen Schulbuch (Köln: Böhlau, 1995) pp. 37–44, p. 42.

27- Amal Ghazal, "Kharijism and Ibadism: The Quest for an integrative approach toIslamic History," Bulletin of the Royal Institute for Inter-Faith Sudies, vol. 7, no. 1 (Spring-Summer 2005), pp. 1-6.

ومن هنا, تحاول المجموعات غير الأرثوذكسيّة مثل العلويّين الحصول على الاعتراف بها بوصفها مجتمعًا دينيًّا رسميًّا منذ أعوام. وقد رفض رئيس المجتمع الدّينيّ الإسلاميّ في النّمسا دائمًا قبولهم باعتبارهم مسلمين[28]. وبعد نزاع قانونيّ طويل, حيث حاولت مجموعتان مختلفتان من العلويّين الحصول على اعتراف رسميّ بإنشاء مجتمع دينيّ مستقلّ معترف به من جانب الدّولة, نجحت إحداهما في كانون الأوّل/ديسمبر 2010[29] وأصبحت الآن موضع اعتراف من الدّولة ضمن مجتمع الطّوائف الدّينيّة Religiöse Bekenntnisgemeinschaft. وهي مرحلة أوليّة قبل أن تصبح مجتمعًا دينيًّا معترفًا به تمامًا مثل المجتمع الدّينيّ الإسلاميّ في النّمسا. وقد أصبح هذا ممكنًا بقرار من المحكمة الدّستوريّة النّمساويّة الّتي رأت في قرار مكتب شؤون العبادة Kultusamt التّابع لوزارة الثّقافة والتّعليم النّمساويّة بقبول مجتمع إسلاميّ واحد فقط في النّمسا (أي, المجتمع الدّيني الإسلاميّ) خرقًا للحرّيّة الدّينيّة في 1 كانون الأوّل (ديسمبر) 2010[30]. ويمكن لهذا القرار أن يؤثّر بشكل قويّ على وضع المجتمع الدّيني الإسلاميّ في النّمسا أيضًا, لأنّ المحكمة الدّستوريّة قد اعتبرت إنكار الاعتراف بالمجتمع الدّينيّ الإسلاميّ العلويّ islamisch-alevitische Glaubensgemeinschaft انتهاكًا للاتفاقيّة الأوروبيّة لحقوق الإنسان. وخلصت إلى أنّ الفقرة الأولى من المادة الأولى من القانون المنظم لشؤون الإسلام Islamgesetz لا يمكن تفسيرها بأنّ القانون النّمساويّ يقبل فقط بجماعة واحدة دينيّة إسلاميّة معترف بها رسميًّا. وسيوضّح المستقبل ما يعنيه هذا بالنّسبة إلى الادّعاء بتمثيل جميع المسلمين فقط من جانب المجتمع الدّيني الإسلاميّ في النّمسا والمجتمعات الإسلاميّة الأخرى الّتي يمكن أن تحاول الحصول على اعتراف رسميّ. وبالفعل في كانون الأوّل (ديسمبر) 2010, طلبت المزيد من المجموعات الإسلاميّة, بما في ذلك

28- See many statements of IGGiÖ-president Anas Schakfeh to the press or this report about a discussion with the author or this paper: http://www.dasbiber.at/content/ minarett-diskussion%3A-shakfeh-distanziert-sich-erneut-von-aleviten, accessed on September 20, 2010).

29- http://www.wienerzeitung.at/default.aspx?TabID=5127&Alias=wzo&cob=532648, accessed on December 24, 2010).

30- Entscheidung des Verfassungsgerichtshofs B 1214/09-35 on the 1st of December 2010.

مجموعة شيعيّة, الاعتراف الرّسميّ. ويجب أن يبتّ مكتب شئون العبادة في هذه الطّلبات في غضون ستة أشهر من تقديم الطّلب.

ومع ذلك, وبالرّغم من أنّ المجتمع الدّيني الإسلاميّ في النّمساء لا يعترف بالعلويّين بوصفهم مسلمين, فإنّه ما يزال يدّعي أنّه الممثّل الوحيد لكافّة المسلمين في النّمسا. وفي عام 2010, حاول «المجتمع» تجنيد أعضاء جدد قبل انتخاباته الجديدة. وفي تشرين الثّاني (نوفمبر) 2010, أعلن رئيسه, الشّقفة, أنّ «المجتمع» قد تمكّن من الحصول على 45,822 عضوًا, ولكن 15,803 فقط منهم من يحقّ لهم التّصويت[31]. وبعد حملة دعاية في المدارس وتسجيل الآلاف من أطفال المدارس على يد معلّميهم, أعلن الشّقفة في آذار (مارس) 2011 أنّ المنظّمة قد نجحت في تسجيل 100 ألف مسلم, منهم 27 ألفًا يحقّ لهم التّصويت[32]. والباقي إمّا أصغر من 14 عامًا, أو لم يدفعوا رسوم العضوية, أو لم يعيشوا في النّمسا لمدّة عام واحد على الأقل. ومن بين هؤلاء المسلمين البالغ عددهم 27 ألفًا هناك 20,500 قد صوّتوا بالفعل[33], وذلك أقلّ من 4 في المئة من عدد المسلمين النّمساويّين الّذين يزيد عددهم عن 550 ألف مسلم. وقد أتت الانتخابات بتأثير أقوى للجمعيّات الإسلاميّة التّركيّة. حيث انتُخب فؤاد سناتش Fuat Sanaç, وهو تابع لحركة ميلي غورش, رئيسًا جديدًا للمجتمع الدّيني الإسلاميّ في النّمسا في حزيران (يونيو) 2011[34].

وبالرّغم من حقيقة أنّ العديد من السّاسة النّمساويّين قد حاولوا تقديم «الحلّ النّمساويّ» باعتباره نموذجًا للدّول الأخرى, وكذلك زعم بعض العلماء أنّ النّموذج النّمساويّ للتّمثيل الرّسمي «يسبّب مشكلات أقلّ ممّا هو حاصل في أيّ مكان

31- http://www.wienerzeitung.at/DesktopDefault.aspx?TabID=3941&Alias=WZO&cob =526141, accessed on April 28, 2010.

32- http://diepresse.com/home/panorama/religion/643567/Nur-jeder-fuenfte-Muslimbeken- nt-sich-zur-IGGiOe, accessed on May 10, 2010.

33- http://derstandard.at/1304552252914/Islam-Muslime-Wahl-Beteiligung-von-765- Prozent, accessed on May 19, 2011.

34- http://news.orf.at/stories/2065615/, accessed on July 1, 2011.

آخر»[35]، فإنّ عدم مشاركة المسلمين في هذه الانتخابات يُظهِر بوضوح أنّ الاختلاق الاصطناعيّ لـ «كنيسة» إسلاميّة جامعة لا يحلّ أيًّا من مشكلات تمثيل الإسلام. بل ساعد على تغطيتها تحت بريق منظّمة تمثيليّة زائفة. والحقيقة هي أنّه في النّمسا قد لعبت مجموعة من المنظّمات الإسلاميّة المختلفة دورًا أكثر أهميّة من أيّ مجتمع إسلاميّ رسميّ.

المنظّمات الإسلاميّة

لقد أسّست هذه المنظّمات الإسلاميّة نفسها في كافّة الدّول الأوروبيّة. ويرتبط الكثير منها ببعضه البعض، وأيضًا بمنظّمات إسلاميّة في البلدان الأصليّة للمهاجرين. على أنّه بشكل عام يمكن القول بأنّ الغالبيّة العظمى من المسلمين في أوروبا ليست مصنّفة ضمن أيّ منظّمة. وقد أدّى هذا إلى فائض متفاوت من الأصوات المحافظة في المجموعات المنظّمة من الإسلام في العديد من الدّول الأوروبيّة. وبما أنّ الإسلام يمكن أن يُمَارس بشكل كامل دون أيّ تنظيم، فإنّ معظم المسلمين الأكثر علمانيّة واعتدالًا لم يقوموا بالانضمام إلى هذه المنظّمات الإسلاميّة. وهذا لا يعني أنّ جميع المنظّمات الإسلاميّة هي منظّمات للإسلام السّياسيّ، بل يعني أنّ مواقف المنظّمات الإسلاميّة لا تعكس بالضّرورة مواقف المسلمين في أوروبا. وإنّما تمثّل فقط اتّجاهاتها الأكثر محافظة وأحيانًا الأكثر تشدّدًا.

ومع ذلك، فإنّ تطوّر هذه المنظّمات الإسلاميّة في أوروبا ما يزال مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بتطوّر المجتمع والسّياسة في البلدان الأصلية للمهاجرين المسلمين. وكما يشير يورغن س. نيلسون . Jørgen S. Nielsen:

35- Silvio Ferrari, "The Secularity of the State and the Shaping of Muslim Representative Organizations in Western Europe", in: Jocelyne Cesari / Seán McLoughlin (eds), European Muslims and the Secular State (Aldershot (Hampshire): Ashgate, 2005) pp. 11-23, p. 14.

فإنّ الاتّجاهات التّنظيميّة الإسلاميّة, الّتي شكّلت جذور ما نراه [...] في أوروبا اليوم, هي نتاج ليس فقط للعمليّات الإسلاميّة التّقليديّة ولكن أيضًا - وبشكل كبير - لردّ فعل المسلمين المنظّم على توسّع التّأثير الأوروبيّ خلال القرون الماضية[36].

قد يكون تقديم لمحة عامّة عن أهم هذه المنظّمات في أوروبا ممّا هو أبعد من نطاق هذه المقالة. لكن ما يزال يتعيّن ذكر أنّ معظم المنظّمات الإسلاميّة في البلدان الأصليّة للمهاجرين المسلمين قد أسّست أيضًا منظّمات لها في أوروبا. ففي حالة حركة ميلي غوروش التّركيّة, فإنّ جناحها الأوروبيّ يفوق بكثير نظيره في تركيا في العضويّة والتّأثير السّياسيّ. كما أنّ جماعة الإخوان المسلمين أو الطّوائف الصّوفيّة المختلفة لديها منظّماتها في أوروبا. وقد أنشأ أتباع فتح الله غولن منظّماتهم ومدارسهم, وبعض المنظّمات السّلفيّة ناجحة بشكل خاصّ في تجنيد المسلمين الأصغر سنًّا, بما في ذلك المتحوّلين دينيًّا.

وبعض المنظّمات الإسلاميّة في أوروبا تعمل أيضًا تحت رعاية بعض الدّول. إذ تحتفظ تركيا بشبكة واسعة من المنظّمات الموجودة في أوروبا الغربيّة والّتي ترتبط ارتباطاً مباشراً برئاسة الشّئون الدّينية التّركيّة Diyanet İşleri Başkanlığı, ومن بينها أكبر منظّمتين إسلاميّتين في ألمانيا والنّمسا, وهما الاتّحاد الإسلاميّ التّركيّ Diyanet İşleri Türk İslam Birliği[37] والاتّحاد النّمساويّ التركيّ الإسلاميّ Avusturya Türk İslam Birliği. كما ترعى إيران والمملكة العربيّة السّعوديّة منظّمات إسلاميّة شيعيّة أو وهابيّة. ويقوّي هذا من أشكال الإسلام السّياسيّ في أوروبا.

مشكلات ونقاشات

36- Jørgen S. Nielsen, Muslims in Western Europe (Edinburgh: Edinburgh University Press 1995) [2nd edition], p. 119.

37- Günter Seufert, "Die ‚Türkisch-Islamische Union' (DİTİB) der türkischen Religionsbehörde: zwischen Integration und Isolation," in Günter Seufert / Jacques Waardenburg (eds.), Turkish Islam and Europe—Türkischer Islam und Europa (Istanbul: Franz-Steiner-Verlag, 1999), pp. 261–293.

بالرّغم من أنّ الإسلام قد أصبح موضوع نقاش واسع في كافّة أنحاء أوروبا, فإنّه غالبًا ما يتمّ تصوير المسلمين بطريقة نمطيّة جدًّا. ومع ذلك, فإنّ معظم هذا الاستياء الموجّه ضدّ المسلمين يعبّر عن أشكال محمّلة ثقافيًا أو دينيًّا من العنصريّة. وهذا من بين الأسباب الّتي تفسّر لماذا يُخفي الاستخدام المتزايد لمصطلح «الإسلاموفوبيا» في العلوم الاجتماعيّة أكثر ممّا يصف[38]. لكن ليست فقط الجماعات العنصريّة وغيرها من الجماعات المعادية للإسلام الّتي ترسم صورة لإسلام موحّد ومتجانس, إذ يحاول العديد من المسؤولين المسلمين ومن يُطلق عليهم أصدقاء المسلمين التّركيز على وحدة المسلمين. ولذلك, فإنّ التّنوع والصّراعات الحاصلة داخل المجتمعات الإسلاميّة الأوروبيّة غالبًا ما تكون مخفيّة وغير مبحوثة كفاية.

ومع ذلك, يجب أن يركّز أي نقاش عادل وعلميّ حول الإسلام والمجتمعات الإسلاميّة في أوروبا بشكل أكبر على هذه التّعددية في الإسلام. وبالرّغم من أنّ ذلك سيجعل صور الإسلام أكثر تناقضًا, فإنّ هذا من شأنه أن يساعد على إثبات أنّ المسلمين ليسوا «آخرًا» محضًا, بل هم أكثر تعدّداً وتناقضًا شأنهم في ذلك شأن أتباع أيّ دين آخر.

كما ستساعد هذه المحاولة في التّغلب على التّجارب غير ذات الجدوى لإنشاء منظّمات إسلاميّة تمثيليّة جامعة في كافّة الدّول الأوروبيّة وتساعد على الاعتراف بالتّعدّدية الدّينيّة القائمة. وهذا من شأنه أن يساعد على عدم المبالغة في تقدير تأثير الدّين في النّقاش المتعلّق بدمج المهاجرين والنّقاش بشكل أكبر حول التّعليم والعدالة الاجتماعيّة والمساواة. إنّ الدّين مهمّ, لكنّه لا يشرح كلّ جوانب الهويّة الشّخصيّة أو الجماعيّة, ولا يشرح كلّ صراعات ومشكلات العدالة الاجتماعيّة والتّعليم وعيشنا معًا في مجتمع تعدديّ

المصدر

https://homepage.univie.ac.at/thomas.schmidinger/php/looming_shadows_schmidinger.pdf

38- https://homepage.univie.ac.at/thomas.schmidinger/php/looming_shadows_schmidinger.pdf

hafryatnews

hafryatnews

hafryat news

hafryatnews

hafryatnews

hafryat news

All Rights Reserved © 2018

جميع الحقوق محفوظة © 2018